الجزء العشرون — سورة القصص

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي
أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنتَ
تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

سُورَةُ الْعَنكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَن
جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)

٣٩٦

معانى الكلمات :

فرض عليك : أى أنزل إليك القرآن .

لرادك إلى معاد : المقصود إلى مكة .

ظهيرا : معينا .

يصدنك : يمنعنّك .

له الحكم : القضاء النافذ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بالثقة فى نصر الله .

٢ ـ أن يعلم المسلم صفة طريق الإيمان لله .

٣ ـ أن يصبر المؤمن على كل بلاء وشدة .

المحتوى التربوى :

تمضى الآيات لتقرر أن وعد الله قائم لكل السالكين فى الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى فى سبيل الله ، فيصبر ويستيقن إلا نصره الله فى وجه الطغيان فى النهاية ، فقد خرج الرسول من مكة وهى أعز وأحب بلاد الله إليه ووطن صباه ، فجاء الخطاب بالقسم بأن الذى فرض عليه القرآن سينصره فى الموعد الذى قدره ، وهذا الأمر له شاهد فقد رد الله موسى من قبل إلى الأرض التى خرج منها هاربا مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، وكانت العاقبة للمتقين .

ويقول صاحب الظلال : « وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد فى ذلك الظرف والكرب ليمضى ﷺ فى طريقه آمنا واثقا ، مطمئناً إلى وعد الله الذى يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة فيه » .

ثم تمضى الآيات فى تبيان أن الرسالة نزلت رحمة للرسول وهو لم يتطلع إليها ، وترسم الآيات بعد ذلك الطريق للرسول والدعاة ، فهى رحمة إذن بالرغم من التكاليف الشاقة والمهام الجمة العسيرة التى يواجهها هؤلاء الدعاة ، فلابد من جعل دعوتهم بيضاء بأن تبعد عن طريق الكفار، أهل الزيغ والضلال بأن تكون دعوة خالصة لا لبس فيها ولا غموض دعوة إلى الله لا لمصلحة ولا لهوى ، بل يجب التسليم لله لتفرده عز وجل ـ بالألوهية والبقاء والحكم والقضاء ، ليمضى أصحاب الدعوات فى طريقهم على هدى ويقين .

سورة العنكبوت

تبدأ السورة بعد الحروف المقطعة بالحديث عن الإيمان ، والفتنة التى يتعرض لها المؤمنون لتحقيق هذا الإيمان ، وكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة والابتلاء ، ويساق الحديث فى صورة استفهام استنكارى لمفهوم الإيمان .

إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال . فلا يكفى أن يقول الناس : آمنا .وهو لا يتركون لهذه الدعوة ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم . كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ـ وهذا هو أصل الكلمة اللغوة وله دلالته وظله وإيحاؤه ـ وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب . هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية ، فى ميزان الله سبحانه :

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ؛ ولكن الابتلاء يكشف فى عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله ، مغيب عن علم البشر ؛ فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم . وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله . فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه !

يقول صاحب الظلال : « ونعود إلى سنة الله فى ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين . إن الإيمان أمانة الله فى الأرض ، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة . وفى قلوبهم تجرد لها وإخلاص . وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء . وإنها لأمانة الخلافة فى الأرض ، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته فى عالم الحياة . فهى أمانة كريمة ؛ وهى أمانة ثقيلة ؛ وهى من أمر الله يضطلع بها الناس ؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء .

هناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعًا . وقد يهتفون به ليسالم أو ليتسلم ؛ وينادونه باسم الحب والقرابة ، واتقاء الله فى الرحم التى يعرضها للأذى أو الهلاك . وقد أشير فى هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير .

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين ، تهتف لهم الدنيا ، وتصفق لهم الجماهير ، وتتحطم فى طريقهم العوائق ، وتصاغ لهم الأمجاد ، وتصفو لهم الحياة . وهو مهمل منكر لا يحس به أحد ، ولا يحامى عنه أحد ، ولا يشعر بقيمة الحق الذى معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئًا .

وهنالك فتنة الغرابة فى البيئة والاستيحاش بالعقيدة ، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله غارقًا فى تيار الضلالة ؛ وهو وحده موحش غريب طريد .

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة فى هذه الأيام . فتنة أن يجد المؤمن أممًا ودولاً غارقة فى الرذيلة ، وهى مع ذلك راقية فى مجتمعها ، متحضرة فى حياتها ، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان . ويجدها غنية قوية ، وهى مشاقة !

وهنالك الفتنة الكبرى . أكبر من هذا كله وأعنف . فتنة النفس والشهوة . وجاذبية الأرض . وثقلة اللحم والدم ، والرغبة فى المتاع والسلطان ، أو فى الدعة والاطمئنان ، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه ، مع المعوقات والمثبطات فى أعماق النفس » .

وأما الذين يفتنون المؤمنين ، ويعملون السيئات ، فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين . فمهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته فى نهاية المطاف، ولا يحسبن مفسد أنه ملفت ولا سابق ، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه ، وفسد تدبيره ، واختل تصوره فإن الله الذى جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين ؛ هو الذى جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد .

وإذا كانت الفتنة سنة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف ، فخيبة المسيئين وأخذ المفسدين سنة جارية لا بد أن تجيء .

ويأتى التطمين للذين يرجون لقاء الله ، ووصل قلوبهم به فى ثقة وفى يقين .

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

فلتقر القلوب الراجية فى لقاء الله ولتطمئن ؛ ولتنتظر ما وعدها الله إياه ، انتظار الواثق المستيقن ؛ ولتتطلع إلى يوم اللقاء فى شوق ولكن فى يقين .

والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية . صورة الراجى المشتاق ، الموصول بما هناك . ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح . ويعقب عليه بالطمأنينة الندية ، يدخلها فى تلك القلوب . فإن الله يسمع لها ، ويعلم تطلعها : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

ويواجه السياق : القلوب التى تحتمل تكاليف الإيمان ، ومشاق الجهاد ، بأنها إنما تجاهد لنفسها ولخيرها ولاستكمال فضائلها، ولإصلاح أمرها وحياتها؛ وإلا فما بالله من حاجة إلى أحد، وإنه لغنى عن كل أحد ، فلا يقفن أحد فى وسط الطريق ، وقد مضى فى الجهاد شوطا ، يطلب من الله ثمن جهاده ، ويمن عليه وعلى دعوته ، ويستبطئ المكافأة على ما ناله ، فإن الله لا يناله من جهاده شيء ، وليس فى حاجة إلى جهد بشر ضعيف هزيل ، فالله غنى عن العالمين ، وإنما هو فضل من الله أن يعينه فى جهاده ، وأن يستخلفه فى الأرض به .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ السعى فى دعوة الله مع الثقة بنصر الله المؤمنين .

٢ ـ الصبر على أذى المعاندين والمناوئين للدعوة .

٣ ـ إخلاص العبادة لله .

الجزء العشرون — سورة العنكبوت

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

٣٩٧

معانى الكلمات :

حسنا : برا .

أنبئكم : أخبركم وأجازيكم .

خطايكم : ذنوبكم .

ليسألن : ليحاسبن ويعاقبن .

يفترون : يختلقون الأكاذيب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بثقل التبعة الملقاة عليه وهى الدعوة إلى الله .

٢ ـ أن يتعرف المسلم على أنواع الابتلاء .

٣ ـ أن يصبر المسلم على الابتلاء والأذى .

المحتوى التربوى :

تأتى الآيات بفاصل بين أنواع الابتلاء بطمأنة المؤمنين بثواب الله لهم من تكفير السيئات ، ومجازاتهم بالحسنات ، ثم تنتقل إلى لون آخر من ألوان الفتنة وهى فتنة الأهل والأحياء ، فإن للوالدين فضلا ورحمًا ، وإن لهما واجبا مفروضا ، واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة ، ولكن ليس لهما من طاعة فى حق الله ؛ لأن الصلة فى الأولى ، والرابطة فى الله هى العروة الوثقى .

ويقول صاحب الأساس: « من أصعب الامتحانات التى يمر بها المؤمن المجاهد موقف والديه منه ، ومن أصعب الأمور أن يتصرف التصرف المناسب فى مثل هذا الموطن ، ومن ثم ألزم الله المؤمن هنا بشيئين : الإحسان وعدم الطاعة فى المعصية ، وهما أمران لا يستطيعهما معًا إلا موفق ، ومن ثم ذكر الله عز وجل فى هذا السياق ما أعده لمن آمن وعمل صالحًا ، وعلى هذا فإن السياق حتى الآن يعرض علينا علامات الصدق فى الإيمان ، وهى الصبر على الامتحان ، ورجاء ثواب الله ، والجهاد ، والعمل الصالح ، والإحسان إلى الوالدين ، مع الرفض لكل أمر فيه معصية، وإذا كان هذا الشأن مع الوالد ، فمن باب أولى أن يكون الأمر كذلك مع غيرهما » .

ويقول صاحب الظلال : « إن الوالدين لأقرب الأقرباء ، وإن لهما لفضلاً ، وإن لهما لرحمًا ؛ وإن لهما لواجبًا مفروضًا : واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة ، ولكن ليس لهما من طاعة فى حق الله ، وهذا هو الصراط : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ .

إن الصلة فى الله هى الصلة الأولى ، والرابطة فى الله هى العروة الوثقى ؛ فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية ، لا طاعة ولا الاتباع ، وإن هى إلا الحياة الدنيا ثم يعود الجميع إلى الله . ويفصل ما بين المؤمنين والمشركين فإذا المؤمنون أهل ورفاق ولو لم يعقد بينهما نسب ولا صهر : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ وهكذا يعود الموصولون بالله جماعة واحدة ، كما هم فى الحقيقة ، وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر ، وتنتهى بانتهاء الحياة الدنيا ، فهى روابط عارضة لا أصيلة ، لانقطاعها عن العروة الوثقى التى لا انفصام لها » .

ثم تأتى الآيات تذكر نموذجا من النفوس عند استقبال الابتلاء ، ذلك النموذج يتحدث عنه صاحب الظلال قائلا :

« يعلن كلمة الإيمان فى الرخاء يحسبها خفيفة الحمل ، هينة المؤونة ، لا تكلف إلا نطقها باللسان ، فإذا أوذى فى الله .. بسبب الكلمة التى قالها وهو آمن معافى ، جعل فتنة الناس كعذاب الله فاستقبلها فى جزع ، واختلت فى نفسه القيم ، واهتزت فى ضميره العقيدة ، وتصور أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذى يلقاه حتى عذاب الله ، أما موقفهم وقت الرخاء ، فيدعون الانتساب للفئة الصابرة وينتفش المتزوون المتخاذلون ، ويستأسد الضعفاء المهزومون ، فيقولون: إنّا كنا معكم » .

قال الفخر الرازى : « قوله ﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ قال الزمخشرى : جعل فتنة الناس صارفة عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف عن الكفر ، وقيل : جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله ، وبالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم ، حتى ترددوا فى الأمر وقالوا : إن آمنا نتعرض للتأذى من الناس وإن تركنا الإيمان نتعرض لما توعدنا به محمد عليه الصلاة والسلام ، واختاروا الاحتراز عن التأذى العاجل ولا يكون التردد إلا عند التساوى ومن أين إلى أين تعذيب الناس لا يكون شديدًا ولا يكون مديدًا ، لأن العذاب إن كان شديدًا كعذاب النار وغيره يموت الإنسان فى الحال فلا يدوم التعذيب ، وإن كان مديدًا كالحبس والحصر لا يكون شديدًا وعذاب الله شديد وزمانه مديد ، وأيضا عذاب الناس له دافع وعذاب الله ما له من دافع ، وأيضًا عذاب الناس عليه ثواب عظيم ، وعذاب الله بعده عذاب أليم ، والمشقة إذا كانت مستعقبة للراحة العظيمة تطيب ولا تعد عذابًا كما تقطع السلعة المؤذية ولا تعد عذابًا » .

وعلق الفخر الرازى على قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ قائلا : ما الفائدة فى ذكر مدة لبثه ؟ نقول كان النبى عليه السلام يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار فى الإسلام وإصرارهم على الكفر فقال إن نوحًا لبث ألف سنة تقريبًا فى الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل وصبر وماضجر ، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك ، وأيضًا كان الكفار يغترون بتأخير العذاب عنهم أكثر ومع ذلك ما نجوا فبهذا المقدار من التأخير لا ينبغى أن يغتروا فإن العذاب يلحقهم .

وقال صاحب الظلال : « والراجح أن فترة رسالته التى دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة ، وأعقبتها فترة كذلك بعد النجاة من

الطوفان غير محددة ، وهو عمر طويل مديد ، يبدو لنا الآن غير طبيعى ولا مألوف فى أعمار الأفراد ، ولكننا نتلقاه من أصدق مصدر فى هذا الوجود ـ وهذا وحده برهان صدقه ـ فإذا أردنا له تفسيرًا فإننا نستطيع أن نقول : إن عدد البشرية يومذاك كان قليلاً ومحدودًا ، فليس ببعيد أن يعوض الله هذه الأجيال عن كثرة العدد طول العمر ، لعمارة الأرض وامتداد الحياة ، حتى إذا تكاثر الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار ، وهذه الظاهرة ملحوظة فى أعمار كثير من الأحياء ، فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار ، كما فى النسور وبعض الزواحف كالسلحفاة ، حتى ليبلغ عمر بعضها مئات الأعوام ، بينما الذباب الذى يتوالد بالملايين لا تعيش الواحدة منه أكثر من أسبوعين ، والشاعر يعبر عن هذه الظاهرة بقوله :

بغاث الطير أكثرها فراخًا وأم الصقر مقلاة نزور

ومن ثم يطول عمر الصقر، وتقل أعمار بغاث ولله الحكمة البالغة ، وكل شىء عنده بمقدار، ولم ألف سنة ـ إلا خمسين عامًا ـ غير العدد القليل الذين آمنوا لنوح ، وجرف الطوفان الكثرة العظمى وهم الظلمة بكفرهم وجحودهم وإعراضهم عن الدعوة المديدة ، ونجا العدد القليل من المؤمنين ، وهم أصحاب السفر ومضت قصة الطوفان والسفينة « آية لعالمين » تحدثهم عن عاقبة الكفر والظلم على مدار القرون » .

ويقول صاحب الظلال : « إن الخطأ ليس فى ضعف احتمالهم للعذاب ، فهذا يقع للمؤمنين فى بعض اللحظات ، ولكنهم يظلون يفرقون تفرقة واضحة بين ما يملكه البشر ، وبين عذاب الله العظيم ، وإنما الخطأ فى مساواتهم عذاب الله بعذاب الناس » .

ثم فتنة أخرى تعرضها الآيات هى فتنة الإغواء والإغراء ، ويعرض معها فساد وتصور الذين كفروا للتبعية والجزاء ، ويقرر فردية التبعية وشخصية الجزاء ، فالكفار تمشيًا مع تصورهم القبلى فى احتمال العشيرة للديات المشتركة ، والتبعات المشتركة يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها .

ثم يبتدأ شوط جديد فى السورة بذكر نماذج من الفتن التى اعترضت دعوة الإيمان فى تاريخ البشرية الطويل وأولها قصة نوح ﷺ الذى تتبدى فيها ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة ، وقصة نوح تحفيز للدعاة أن يستمروا فى دعوتهم ولا يصدنهم عنها قلة الناصرين مع طول فترة الدعوة ، وفيها بث الثقة فى معية الله للمؤمنين أن الله ناصرهم ومؤيدهم ومخذل عدوهم بظلمه وصده واستكباره .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الإحسان للوالدين والبر بهما ومعرفة حقهما مع تقديم حق الله .

٢ ـ الصبر فى حال الرخاء والشدة .

٣ ـ السعى فى دعوة الله دائمًا دون الالتفات لكثرة المستجيبين للدعوة أو قلتهم .

فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين
﴿١٥﴾ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم
خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١٦﴾ إنما تعبدون من
دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من
دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴿١٧﴾ وإن تكذبوا
فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ
المبين ﴿١٨﴾ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم
يعيده إن ذلك على الله يسير ﴿١٩﴾ قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
إن الله على كل شيء قدير ﴿٢٠﴾ يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء وإليه تقلبون ﴿٢١﴾ وما أنتم بمعجزين في
الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير ﴿٢٢﴾ والذين كفروا بآيات الله ولقائه
أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم ﴿٢٣﴾

معاني الكلمات :

إفكا : كذبا وباطلا .

ابتغوا : اطلبوا .

النشأة الأخرى : البعث بعد الموت .

تقلبون : ترجعون .

نصير : معين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة السعي والسير للتفكر في خلق الله .

٢ ـ أن يعرف المؤمن كيفية جدال المنكرين .

٣ ـ أن يكثر المؤمن التفكر والاعتبار والاتعاظ .

المحتوى التربوي :

ويستمر القصص القرآني بذكر أنواع الابتلاء ، وإنجاء الله للمؤمنين ، فأنجى الله نوحا وأصحاب السفينة .

ثم يأتي القرآن بقصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من العظة والعبرة بذكر خطوط الدعوة الرئيسية وهي الدعوة إلى العبادة لله مع تقواه ثم لا يقتصر دوره على الدعوة بل الاعتراض ومجابهة الظالمين وتصحيح المفاهيم من عدة وجوه :

١ ـ أنهم يعبدون أوثانًا من دون الله .

٢ ـ وأنهم لا يستندون بهذه العبادة إلى برهان أو دليل .

٣ ـ أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعًا ولا ترزقهم شيئًا .

ثم تنتقل الآيات لقضية شغلت النفوس بخاصة التى لم يستغرقها الإيمان ، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة فى النفوس ، ولو آمن بهذا الضالون لانتهوا عن ضلالتهم وعبدوا الله حق العبادة وشكروا له نعمه ، بل وثمة قضية أخرى هى قضية الإيمان بالبعث والنشور لو استقرت فى القلوب لعدل المشركون عن اتخاذ الأوثان آلهة من دون الله .

وتصل الآيات إلى ما يطمئن الدعاة إلى الله أن البلاغ مهمتهم ، وألا يحزنهم التكذيب ، وأن ذلك كان فى الأمم التى كانت قبلنا ، فهذا سرد لقصص السابقين حتى لا يقنط السائرون إلى الله أن دعوة الله لا تقاس بالكثرة ؛ لأن أكثر الناس لا يؤمنون .

ويأتى النص القرآنى بما يرشد المؤمنين حين يدعون الكافرين أن يتفكروا فى الكون من حولهم ، ليبحثوا عن آيات الله ، ويروا دلائل وجوده يقول صاحب **الظلال** :

« إنه خطاب لكل منكر لله ولقائه خطاب دليله هذا الكون ؛ ومجاله السماء والأرض ؛ على طريقة القرآن فى اتخاذ الكون كله معرضًا لآيات الإيمان ودلائله ، وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب ، تبحث فيها عن آيات الله وترى دلائل وجوده ووحدانيته ، وصدق وعده ووعيده ، ومشاهد الكون وظواهره حاضرة أبدًا لا تغيب عن إنسان ، ولكنها تفقد جدتها فى نفوس الناس بطول الألفة ؛ ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار ، فيردهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة ، وإلى تلك الآيات الباهرة بتوجيهه الحى ، المحيى للمشاهد والظواهر فى القلوب والضمائر ، ويثير تطلعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها ، ويجعل منها دلائله وبراهينه التى تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر ، ولا يتخذ طرائق الجدل الذهنى البارد والقضايا المنطقية التى لا حياة فيها ولا حركة تلك التى وفدت على التفكير الإسلامى من خارجه فظلت غريبة عليه ، وفى القرآن المثل والمنهج والطريق .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

« وأنهم ليرون كيف يُبدئ الله الخلق ، يرونه فى النبتة النامية ، وفى البيضة والجنين ، وفى كل ما لم يكن ثم يكون ، مما لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوه أو يدعوا أنهم خالقوه ، وإن سر الحياة وحده لمعجز ، كان وما يزال ، معجز فى معرفة منشئه ، وكيف جاء » .

ثم يتتابع الأمر القرآنى بالسير فى الأرض ؛ لأن الإنسان قد يعيش فى مكان واحد يألفه فلا يكاد يتنبه إلى شىء من مشاهده أو عجائبه ، ولكنه إذا سافر وتنقل استيقظ حسه لمشاهد الكون ، وربما عاد لموطنه بحس جديد وروح جديد يتأمل فى الكون بعد أن كان غافلا عنها ، فتتأمل فى قدرة الله وتعذيبه لمن يشاء ورحمته لمن يشاء ؛ لأن العذاب والرحمة يتبعان مشيئة الله ، من حيث أنه بين طريق الهدى وطريق الضلال ، وخلق الإنسان من الاستعداد ما يختار به هذا أو ذاك ، ويسر له الطريقين سواء ،وهو بعد ذلك ،ما يختار غير أن اتجاهه إلى الله ، ورغبته إلى الله ورغبته فى هداه ، تنتهى به إلى عون الله .

وعلق الفخر الرازى على قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾ قائلا : « قدم التعذيب فى الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قال ﷺ حاكيًا عنه : «سبقت رحمتى غضبى» فنقول ذلك لوجهين . أحدهما : أن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقيه بحكم الإيعاد وعقبه بالرحمة ، وكما ذكر ـ بعد إثبات الأصل الأول وهو التوحيد ـ التهديد بقوله : ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ كذلك ذكر بعد إثبات الأصل الأخر التهديد بذكر التعذيب ، وذكر الرحمة وقع تبعًا لئلا يكون العذاب مذكورًا وحده وهذا يحقق قوله « سبقت رحمتى غضبى » وذلك لأن الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يمحضه فى الذكر بل ذكر الرحمة معه » .

وتأتى الآيتان بخطاب مع الكفار الذين لا يملكون شيئا فى هذا الوجود ، وليس لهم نصير ولا معين من المعبودات التى يعبدونها ، وهذا يؤدى إلى بأسهم يوم القيامة ، حين يرون أنفسهم مبعدين عن رحمة الله .

وقال صاحب الأساس : « لفتت هذه الآيات النظر إلى رؤية البداية والنهاية ؛ فمن رأى البداية والنهاية عَبَد الله وشكره ، ولم يطلب الرزق إلا منه ، وهى الدعوة التى ركز عليها إبراهيم ﷺ ، كما لفتت الآيات النظر إلى طلاقة المشيئة الإلهية فى الرحمة والعذاب ، وهذا يقتضى عبادة وشكرًا ، وطلبًا منه وحده ، كما لفتت الآيات النظر إلى عدم فوات الإنسان الله فى السماء والأرض ، وفى ذلك دفع للعبادة والشكر ، وطلب الرزق من الله وحده ، وختمت الآيات بإيئاس الكافرين من رحمة الله ، واستحقاقهم العذاب ، وفى ذلك دفع نحو العبادة والشكر ، فارتباط الآيات فيما مضى من قصة إبراهيم ﷺ واضح ، كما أن فى الآيات ردًا على الكافرين فى قولهم ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾ فلو أن الكافرين رأوا البداية والنهاية ، وعرفوا طلاقة المشيئة الإلهية فى الرحمة والعذاب ، وعرفوا عدم فواتهم لله ، وعرفوا أن رحمته لا ينالها كافر ، وأن العذاب آتٍ ، لو عرفوا هذا ، ما تجرّءوا على الكفر والتكفير ، ثم يعودُ السياق إلى قصة إبراهيم ﷺ : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ أى قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان إلا أن قالوا : ﴿ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ فاتفقوا على تحريقه بعد أن قامت عليهم الحجة ، ولزمهم البرهان فعدلوا ، شأن الطغاة إلى استعمال عزّ السلطان ضد الإيمان ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ حين قذفوه فيها ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أى فى فعلهم وفعل الله ﴿ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أما الكافرون فإنهم لا ينتفعون بآية أبدًا » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ السعى فى طلب الرزق من الله ، والإيمان بأن الله هو بيده الأمر كله .

٢ ـ الصبر فى الدعوة إلى الله عز وجل .

٣ ـ التفكر فى خلق الله عز وجل .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٣٩٩

معانى الكلمات :

مأواكم : مصيركم .

مهاجر إلى ربى : تارك وطنى .

الفاحشة : الفعلة القبيحة .

تقطعون السبيل : تقفون فى طريق الناس .

ناديكم : مجلسكم الذى تجتمعون فيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقبح الذنب ، وسوء ضرره فى المجتمع .

٢ ـ أن يعرف المؤمن جوانب من قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام .

٣ ـ أن يأمر المؤمن بالمعروف وينهى عن المنكر حسب استطاعته .

المحتوى التربوى :

يعود السياق القرآنى لقصة إبراهيم ليبرز الطغيان ، وقد أسفر عن وجهه الكالح ، ولم يكن إبراهيم عليه السلام يملك له دفعًا ، ولا يستطيع منه وقاية ، وهو فرد أعزل لا حول له ولا طول ، فهنا تتدخل القدرة سافرة كذلك ، تتدخل بالمعجزة الخارقة المألوفة للبشر بآيات وهذه الآيات يذكرها **صاحب الظلال** : « الآية الأولى : هى تلك النجاة من النار ، والآية الثانية : هى عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة ، والآية الثالثة : هى أن الخارقة لا تهدى القلوب الجاحدة ، ذلك لمن يتدبر تاريخ الدعوات ، وتصريف القلوب وعوامل الهدى والضلال ».

وذكر صاحب الأساس :« بمناسبة قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ **قال ابن كثير**: (وذلك أنهم حشدوا فى جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحوّطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار،

فارتفع لها لهب إلى عنان السماء ، ولم توقد نار قط أعظم منها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتّفوه ، وألقوه فى كفة المنجنيق ، ثم قذفوه فيها ، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا ، وخرج مها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا ، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا ، فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان) .

بمناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ قال ابن كثير : (وهذا حال الكافرين وأما المؤمنون فبخلاف ذلك ، روى ابن أبى حاتم عن أم هانىء أخت على بن أبى طالب قالت : قال لى النبى ﷺ : « أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى صعيد واحد ، فمن يدرى أين الطرفين ؟ قالت : قلت : الله ورسوله أعلم ـ ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشرئبُّون ـ قال أبو عاصم : يرفعون رؤوسهم ـ ثم ينادى يا أهل التوحيد ثم ينادى الثالثة : يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم ـ قال ـ فيقول الناس قد تعلق بعضهم ببعض فى الظلمات الدنيا ـ يعنى المظالم ـ ثم ينادى يا أهل التوحيد ليعفُ بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب » .

ثم يعرض النص القرآنى مشهد الظالمين مع بعضهم البعض يوم القيامة من تكفير بعضهم البعض ، ولعن بعضهم بعضا ، وأن هذا ليقع فى الجماعات التى لا تأخذ العقيدة مأخذ الجد فيسترضى الصاحب صاحبه على حساب العقيدة ، ثم يكشف عن صفحتهم فى الآخرة فهم فى عداء ولعن وانفصام ، فى يوم يتنكر التابعون المتبوعين ، ويكفر الأولياء بالأولياء ، ويتهم كل فريق صاحبه أنه أضله ، ويلعن كل غوى صاحبه الذى أغواه .

ونقل القاسمى عن العلامة القاشانى تفسير المودة فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ فقال : « والمعنى أن المودة قسمان : مودة دنيوية ، ومودة أخروية . والدنيوية منشؤها النفس ، والأخروية منشؤها الروح ، فكل ما يحب ويوّد من دون الله ، لا لله ولا بمحبة الله ، فهو محبوب بالمودة النفسية ، وهو هوى زائل ، كلما انقطعت الوصلة البدنية زالت ولم تصل إلى إحدى القيامات ، فإنها نشأت من تركيب البدن واعتدال المزاج ، فإذا انحلّ التركيب وانحرف المزاج ، تلاشت وبقى التضادّ والتعاند ، بمقتضى الطبائع ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية ، ولهذا شبهها ببيت العنكبوت فى الوهن .

وأما الأخروية فمنشؤها المحبة الإلهية ، وتلك المودة هى التى تكون بين الأصفياء والأولياء ، لتناسب الصفات ، وتجانس الذوات ، لا تتصفى غاية الصفاء إلا عند زوال التركيب ، فيصير يوم القيامة محبة صرفة الهيئة ، بخلاف تلك ، انتهى » .

ثم جاء النص القرآنى بدعوة لوط والإعراض عنه ويقول صاحب الظلال فى تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ إنه لم يهاجر للنجاة، ولم يهاجر إلى أرض أو كسب أو تجارة ،

إنما هاجر إلى ربه ، هاجر متقربا له ملتجئا إلى حماه ، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ».

وكان عطاء الله الجزيل لإبراهيم وذريته ، فقد عوضه الله عن وطنه وعن قومه وأهله بذرية تمضى فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم يأتى النص القرآنى بعرض بالغ التأثير لدعوة لوط ﷺ مع قومه ، فقد فشا فى قومه شذوذ غريب وهو إتيان الذكور من دون النساء ، وهى كما يقول **صاحب الظلال**: « فاحشة شاذة قذرة تدل على انحراف الفطرة ، فالفطرة قد تتجاوز حدّ الاعتدال مع المرأة ، فتكون جريمة فاحشة ، ولكنها داخلة فى نطاق الفطرة ومنطقها ، أما ذلك الشذوذ الآخر فهو انخلاع من فطرة الأحياء جميعًا ، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية متناسقة مع خط الحياة الأكبر، وجهز كيان كل من الزوجين بالاستعداد للالتذاذ بهذه المباشرة نفسيا وعضويا ، فأما المباشرة الشاذة فلا هدف لها ، وإذا وجد فيها أحد لذة ، فمعنى هذا أنه انسلخ نهائيا من حظ الفطرة ، وعاد مسخا لا يرتبط بخط الحياة » .

والفاحشة حين تسود تجرئ النفس على المعصية ، واستشرت جرائم قوم لوط فهم يقطعون السبيل ، وينهبون المال ، ويروعون المارة ، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرها ، وهى درجة أبعد فى الفحش ، وفساد الفطرة ، والتبجح بالرذيلة إلى حد لا يرجى معه صلاح .

وإزاء هذا التبجح والصد والتكذيب والإعراض لا يجد الداعى إلى الله بدا إلا اللجوء إلى الله ؛ كى ينصره على القوم المفسدين الظالمين ، فقد بذل الوسع والطاقة معهم ، ولكن فسادهم قطع كل محاولات إصلاحهم .

قال **الفخر الرازى** : « واعلم أن نبيا من الأنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم ، كما قال نوح : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (نوح) يعنى المصلحة إما فيهم حالاً أو بسببهم مآلاً ولا مصلحة فيهم ، ، فإنهم يضلون فى الحال وفى المآل فأنهم يوصون الأولاد من صغرهم بالامتناع من الأتباع ، فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون فى الحال واشتغلوا بما لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله ، بطلت المصلحة حالاً ومآلاً ، فعدمهم صار خيرًا ، فطلب العذاب » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ معية الله قريبة من المؤمنين مهما اشتدت بهم المحن ، وعظمت عليهم البلايا .

٢ ـ تسلية الرسول ﷺ أن إبراهيم لم يؤمن به إلا لوط ﷺ.

٣ ـ محاربة الرذيلة والفواحش بجميع أنواعها .

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ
هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٤٠٠

معانى الكلمات :

الغابرين : الباقين من العذاب .

ضاق بهم ذرعاً : ضعفت طاقته .

آية بينة : علامة واضحة .

لا تعثوا : لا تفسدوا .

الرجفة : الزلزلة الشديدة .

جاثمين : باركين .

مستبصرين : عقلاء واعين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المسلم بمعية الله للمؤمنين .

٢ ـ أن يتعرف المسلم على جوانب وعبر من إهلاك الله للأمم الظالمة .

٣ ـ أن يمضى المسلم فى دعوته لله عز وجل بمصابرة ومثابرة .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات مشهد ذهاب الملائكة لإهلاك قرية قوم لوط ، وقبلها تبشير إبراهيم بولادة إسحاق ، وتظهر رقة إبراهيم ورأفته بأن تلك القرية فيها لوط ، فتعلمه الملائكة بما يطمئنه بأن عدل الله واقع بنجاة لوط عليه السلام وأهله إلا امرأته .

كان هلاك امرأة لوط ؛ لأن هواها مع القوم ، تقر جرائمهم وانحرافهم ، وهو أمر عجيب . وهنا يلمح أمران هما :

قال الفخر الرازى : « القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامرأة لوط لم يصدر منها تلك فكيف كانت من الغابرين معهم ؟ فنقول : الدال على الشر له نصيب كفاعل الشر ، كما

أن الدال على الخير كفاعله ، وهى كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم ، فبالدلالة صارت واحدة منهم » .

ـ إن علاقات الزوجية والقرابة والمصاهرة لا تنفع من العذاب ، وأن الإيمان بالله أوثق صلة ، وأشد علاقة .

ـ إن الإقرار والرضا بارتكاب المنكر وموافقة الآخرين على ارتكابه حتى لو لم يقترفه العبد نفسه قد يستوجب العذاب والنكال من الله .

ويمضى السياق القرآنى داعيًا للتأمل فى مصير قوم لوط ، وقد أصاب التدمير تلك القرية ، وكان هذا التدمير بأمطار وأحجار ملوثة بالطين ، وما زالت آثار هذا التدمير آثاره باقية إلى الآن ، وكان هذا هو المصير الطبيعى لهذه الشجرة الخبيثة التى فسدت وأنتنت ، فلم تعد صالحة للإثمار ولا للحياة ، ولم تعد تصلح إلا للاجتثاث والتحطيم .

وقد تقدمت قصة شعيب فى سورة هود فقال تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ۝ ﴾ (هود) وعلق الشيخ أبو زهرة فى زهرة التفاسير قائلا : والصيحة تبعتها رجفة فى الأرض ماتوا بها ؛ ولذا قال : ﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ أى ميتين وجاثمون ملازمون أماكنهم لا يستطيعون حراكًا ؛ لأن الموت الداهم أفقدهم الحركة » .

وحلقة أخرى تعرضها الآيات فى عرض قصة العقيدة ، ولباب هذه هى العقيدة : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ﴾ .

* عبادة الله هى قاعدة العقيدة .

* ورجاء اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه فى هذه الحياة الدنيا من الكسب المادى الحرام بالتطفيف فى الكيل والميزان وغصب المارين بطريقهم للتجارة ، وبخس الناس أشياءهم .

وتواصل الآيات لتنبه المؤمنين إلى وجوب التبصر بمصير وهلاك الأمم الكافرة مثل قوم شعيب الذين أهلكهم الله بالرجفة التى زلزلت بلادهم فأصبحوا جاثمين ، وكذلك قوم عاد وثمود الذين أهلكوا وبقيت آثارهم إلى الآن تنطق بأمر الله الواقع بالكافرين وأن رحمة الله قريب من المحسنين .

وقال الشيخ أبو زهرة : وفى القصة التى جمعت بين إبراهيم ولوط عبر نذكر منها :

منها أن الفواحش تفتك بالجماعات وتذهب قوتها وتعدها للفناء ، كما فى شأن قوم لوط إذ أن فاحشتهم قطعت نسلهم وأسلمتهم إلى الدمار ، ومنها أن كل امرئ بما كسب رهين ومعاقب

بعمله ، فلم يعف امرأة لوط من العذاب أنها امرأته ، ولأنها كانت من المفسدين حق عليها ما نزل بهم من العذاب .

ومنها أن آل لوط لم يكونوا عبدة أوثان فقط بل كانوا مع ذلك يأتون الفاحشة التى ما سبقهم بها أحد ، يأتون الرجال شهوة من دون النساء حتى أصبحوا لا يخرجون من شر إلا إلى شر ، فهم فى دائرة الفساد المطلق والفاحشة الشنعاء التى هى كرؤوس الشياطين من المخنثين ومن يتشبهون بالإناث فى ملابسهم وشعورهم بل وفى أفعالهم ، ووَجدَت جماعة تنطلق انطلاقا إلى كل موبق باسم حرية الإرادة وما هى إلا الوقوع فى أسر الشهوة ومن ورائها ذلها .

ومنها أن الانطلاق إلى الهوى لا يرده عقل ولا تدبير ولا حياء بل ولا أى مروءة إنسانية ، حتى أنهم عندما رأوا الملائكة ، جاؤوا إلى لوط ﷺ يهرعون وإنه ليعرض بناته للزواج ، فيقولون فى تبجح : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ (هود :٧٩) وهكذا نرى ممن يشبهونهم فى عصرنا .

وفى الآيات إشارة للكفار الذين أضلهم الشيطان وزين لهم أعمالهم ، فظن الضالون أن ما يفعلونه هو عين الصواب ، فهم الأخسرون أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

يقول صاحب الأساس : « قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أى : عقلاء متمكنين من النظر ، وتمييز الحق من الباطل ، ولكنهم لم يفعلوا ، أو كانوا مستبصرين بالمعنى الذى يطلقه الكفرة على أنفسهم بأنهم مستنيرون ، إلا أن استبصارهم لم يكن إلا فى أمر ظواهر الدنيا فقط » .

يقول صاحب الظلال : « وعاد كانت تسكن بالأحقاف فى جنوب الجزيرة بالقرب من حضر موت ، وثمود كانت تسكن بالحجر فى شمال الجزيرة بالقرب من وادى القرى وقد هلكت عاد بريح صرصر عاتية ، وهلكت ثمود بالصيحة المزلزلة ، وبقيت مساكنها معروفة للعرب ، يمرون عليها فى رحلتى الشتاء والصيف ، ويشهدون آثار هذا التدمير بعد العز والتمكين » .

كانت لهم عقول ، وكانت أمامهم دلائل الهدى ، ولكن الشيطان استهواهم ، وزين لهم أعمالهم وأتاهم من هذا الثغرة المكشوفة وهى غرورهم بأنفسهم، وإعجابهم بما يأتونه من أعمال .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ التفكر فى معية الله للمؤمنين ، وإخراجهم من بين الأمم التى حق عليها العذاب .

٢ ـ الإيمان بأن علاقة الإيمان هى العلاقة المنجية ، وأن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

٣ ـ الحذر من غواية الشيطان ، وأن يكون المسلم موصولا بالله .

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
(٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
(٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

معانى الكلمات :

سابقين : فائتين من العذاب .

حاصباً : ريحا عاصفا ترميهم بالحجارة .

الصيحة : صوت مهلك .

أوهن : أضعف .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بدور العبادات وذكر الله وتلاوة القرآن فى حياته .

٢ ـ أن يعرف المسلم الزاد الذى ينفعه فى حياته ودعوته .

٣ ـ أن يواصل المؤمن عباداته بخشوع ، وأن يستزيد منها ما أمكنه ذلك .

المحتوى التربوى :

تأتى الآيات هنا بذكر الأفراد الذين ظلموا وطغوا ، وأغرتهم قوتهم ، فقارون أغراه المال ، وظن أنه أوتيه على علم عنده ، والمال مال الله ، ولم يستمع نصح الناصحين بالإحسان ، ومن البشر من تغريه قوة الحكم والسلطان فيصير طاغية غشومًا ، ويرتكب أبشع الجرائم وأغلظها ، وهامان كان المدبر لمكائد فرعون والمعين له على ظلمه وبطشه ، وأهلك الله هؤلاء الآحاد كما أهلك الأمم بسبب صدهم لموسى عليه السلام لما جاءهم بالبينات .

وهنا تكررت قصة قارون وفرعون وهامان ، **ويقول الشيخ أبو زهرة** : « إن قصص القرآن لا مكرر فيه ، وإن كان يبدو ظاهر الأمر أن فيه تكرارًا ؛ لأن الذكر يكون على قدر العبرة وهنا فى هذا الموضع يذكر أحوال الأمم الذين يُبعث النبيون إليهم ؛ ولذا ذكر قوم فرعون ، وما حل بهم

من اتباعهم فرعون ولم يفصل الآيات المتوالية التى كانت تجرى على يدى موسى آية بعد آية ، وهم لم يرتدعوا حتى أهلكهم الله تعالى بالغرق كما ذكر سبحانه ذلك فى سورة الأعراف ، وكما ذكر حال فرعون وقد أصابه الغرق ، وآمن فى آخر رمق فى حياته إيمانًا لا يقبله الله تعالى » .

قال الفخر الرازى : « ذكر الله أربعة أشياء : العذاب بالحاصب ، وقيل : إنه كان بحجارة محماة يقع على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر ، وفيه إشارة إلى النار والعذاب بالصيحة وهو هواء متوج ، فإن الصوت قيل سببه تموج الهواء ووصوله إلى الغشاء الذى على منفذ الأذن وهو الصماخ فيقرعه فيحس،والعذاب بالخسف وهو الغمر فى التراب،والعذاب بالإغراق وهو بالماء، فحصل العذاب بالعناصر الأربعة والإنسان مركب منها وبها قوامه وبسببها بقاؤه ودوامه ، فإذا أراد الله هلاك الإنسان جعل ما منه وجوده سببًا لعدمه ، وما به بقاؤه سببًا لفنائه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ يعنى لم يظلمهم بالهلاك ، وإنما هم ظلموا أنفسهم بالإشراك وفيه وجه آخر ألطف وهو أن الله ما كان يظلمهم أى ما كان يضعهم فى غير موضعهم فإن موضعهم الكرامة كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ لكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم فى عبادة الوثن مع خسته » .

وتدعو الآيات للتأمل فى قدرة الله وخلقه كما يقول **صاحب الظلال** : « إن هناك قوة واحدة هى قوة الله ، وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهن ، من تعلق به أو احتمى فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمى ببيت من خيوط واهية ، فهى وما تحتمى به سواء .

فالذين تخدعهم قوة الحكم والسلطان أو قوة المال ينسون أصل سائر القوى ، وينخدعون بالقوى الظاهرة ، فيدورون حولها كما يدور الفراش على المصباح ، وكما يتهافت الفراش على النار ، رغم أنه ليس هنالك إلا حماية الله ، وإلا حماه ، وإلا ركنه القوى الركين » .

وقال الفخر الرازى : « مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتًا ولم يمثله بنسجه وذلك لوجهين ، **أحدهما** : أن نسجه فيه فائدة له لولاه لما حصل وهو اصطيادها الذباب به من غير أن يفوته ما هو أعظم منه ، واتخاذهم الأوثان وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ، لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة التى هى خير وأبقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت ، **الوجه الثانى** : هو أن نسجه مفيد لكن اتخاذها ذلك بيتًا أمر باطل فكذلك هم لو اتخذوا الأوثان دلائل على وجود الله وصفات كماله وبراهين على نعوت إكرامه وأوصاف جلاله لكان حكمة ، لكنهم اتخذوها أولياء كجعل العنكبوت النسج بيتًا وكلاهما باطل .

كما أن هذا المثل صحيح فى الأول فهو صحيح فى الآخر ، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباء منثورًا ، فكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفرقان) .

قال : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ ولم يقل آلهة إشارة إلى إبطال الشرك الخفى أيضًا ، فإن من عبد الله رياء لغيره فقد اتخذ وليًا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتًا » .

ويتابع صاحب الظلال تأملاته فيقول : « إن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى ، وللإغراء والإغواء ، لجديرون أن يفقهوا الحقيقة الضخمة ، ولا ينسون لحظة ، وهم يواجهون القوى المختلفة ، هذه تضربهم ، وتحاول أن تسحقهم ، وهذه تستهويهم ، وتحاول أن تشتريهم ، وكلها خيوط العنكبوت فى حساب الله ، وفى حساب العقيدة حين تصح العقيدة ، وحين تعرف حقيقة القوى . وتحسن التقويم والتقدير » .

ثم تشير الآيات لقيمة العقل ، وعقد موازنة بين المؤمنين والكافرين فى هذا الأمر ، فالضالون لا يعقلون الأمثال التى يضربها الله لهم ، بل ويتخذونها مادة للسخرية والتهكم ، وقالوا : إن رب محمد يتحدث عن الذباب والعنكبوت ، ولم يهز مشاعرهم هذا التصوير العجيب ، لكن المؤمنين بقلوبهم المتفتحة ، وعقولهم الراجحة يتفكرون فى خلق السموات والأرض ، وفى هذا الكون بتنسيقه ، وتنظيمه .

ولكى تتفتح القلوب للدعوة ، وتستطيع العقول التدبر لابد من الزاد الذى يعينها على ذلك وهو :

ـ القرآن الكريم ، وهو الحق المرتبط بالحق الكامن فى خلق السموات والأرض ، وهو وسيلة الدعوة ومنهاج المسلم فى دعوته لربه .

ـ إقامة الصلاة وهى حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهى اتصال بالله يخجل صاحبه ، ويستحى أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها .

ـ ذكر الله والديمومة على ذلك ، وذكر الله أكبر على رد كل اندفاع ومن كل نزوع ، وأكبر من كل تعبد وخشوع ، وقد أخرج أحمد فى الزهد ، وابن المنذر عن معاذ بن جبل ، قال : ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى ، قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال : ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ، لأن الله تعالى يقول فى كتابه : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعانى من الأفهام .

٢ ـ فضل العلماء على غيرهم ، العلماء بالله ، بصفاته وأسمائه وآياته .

٣ ـ وجوب تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة ، وذكر الله ؛ أذ هى غذاء الروح ، وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى .

سورة العنكبوت

وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

٤٠٢

معانى الكلمات

لا تخطه : لا تعرف الكتابة .

المبطلون : الكافرون .

آيات : معجزات مادية .

ذكرى : تذكرة بليغة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بقيمة الرفق فى الدعوة .

٢ ـ أن يعلم المؤمن طريقة مجادلة أهل الكتاب والمشركين .

٣ ـ أن يكون المسلم رفيقا فى دعوته .

المحتوى التربوى :

تكشف الآيات عن الواجب اتباعه فى مجادلة أهل الكتاب ، أن تكون بالحكمة والإقناع ، ذلك أن دعوة الله التى حملها نوح ﷺ والرسل من بعده إلى خاتم النبين ذات هدف واحد هو رد البشرية الضالة إلى ربها ، وإن المؤمنين بكل رسالة لأخوة المؤمنين بسائر الرسالات .

ويقول صاحب الظلال : « إن دعوة الله التى حملها نوح ﷺ والرسل بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين محمد ﷺ لهى دعوة واحدة من عند إله واحد ، ذات هدف واحد ، هو رد البشرية الضالة إلى ربها ، وهدايتها إلى طريقه ، وترتيبها بمنهاجه ، وإن المؤمنين بكل رسالة لإخوة للمؤمنين بسائر الرسالات : كلهم أمة واحدة ، تعبد إلهًا واحدًا ، وإن البشرية فى جميع أجيالها لصنفان اثنان : صنف المؤمنين وهم حزب الله ، وصنف المشاقين لله وهم حزب الشيطان ، بغض النظر عن تطاول الزمان وتباعد المكان ، وكل جيل من أجيال المؤمنين هو حلقة فى تلك السلسلة الطويلة الممتدة على مدار القرون » .

وهذه هى الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التى يقوم عليها الإسلام ، هذه الحقيقة التى ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب ، أو وطن ، أو تبادل أو تجارة عن هذا كله ؛ لتصلها بالله ، ممثلة فى عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان ، وتختفى فيها القوميات والأوطان، ويتلاشى فيها الزمان والمكان ولا تبقى إلا العروة الوثقى فى الخالق الديان.

ومن ثم يكشف للمسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى ؛ لبيان حكمة مجىء الرسالة الجديدة ، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة ، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله ، الموافقة لما قبلها من الدعوات ، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ فانحرفوا عن التوحيد الذى هو قاعدة العقيدة الباقية ؛ وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه فى الحياة ، فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسنة ، وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة فى المدينة .

وإن بعضهم ليفترى على رسول الله ﷺ أنه حاسن أهل الكتاب وهو فى مكة مطارد من المشركين ، فلما أن صارت له قوة فى المدينة حاربهم ، مخالفًا كل ما قاله فيهم وهو فى مكة ! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكى عليه ، فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم ، ولم ينحرف عن دين الله ، وعن التوحيد الخالص الذى جاءت به جميع الرسالات .

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ (البقرة) .

وإذن فلا حاجة إلى الشقاق والنزاع ، والجدل والنقاش ، وكلهم يؤمنون بإله واحد ، والمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى من قبلهم ، وهو فى صميمه واحد ، والمنهج الإلهى متصل الحلقات .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .

وإلى قيام الساعة ينقسم أهل الكتاب مع التعامل مع دعوة الإيمان إلى قسمين :

١ ـ قسم يؤمن ويرى أن ما جاء القرآن هو الحق .

٢ ـ قسم يجحد وينكر مع أن فى الآيات دلائل على الصدق والوضوح .

ولا ينفك الظالمون يثيرون الشبهات على الرسول والقرآن والمؤمنين ، فيقولون إن الرسول كتب القرآن عن أعجمى ، وتلك فرية كاذبة فقد كان الرسول لا يقرأ ولا يكتب ، وكان الأولى الإيمان ؛ لأنه أتى لهم بكتاب معجز ، ولكن هذا الكتاب لا يدرك إعجازه ولا يعى آياته إلا من أوتى دقة الفهم ، ورقة الشعور ومن تعلق قلبه بالله ، فتنفتح جوارحه صدره وقلبه وعقله لتلقى هذا الفيض الإلهى ، فهذا الكتاب هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين .

قال القاسمى : « قال السيوطى فى (الإكليل) : فى هذه الآية دليل على أنه ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ، وفيها ردّ على من زعم أنه كتب » .

وهكذا يتبع السياق مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولى منها ، فحتى على فرض أن رسول الله ﷺ كان قارئا كاتبا ، ما جازلهم أن يرتابوا ، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر ، فهو أكبر جدًا من طاقة البشر ومعرفة البشر ، وآفاق البشر ، والحق الذى فيه ذو طبيعة مطلقة كالحق الذى فى هذا الكون ، وكل وقفة أمام نصوصه توحى القلب بأن وراءه قوة ، وبأن فى عباراته سلطانا ، لا يصدران عن بشر .

فهو دلائل واضحة فى صدور الذين وهبهم الله العلم ، لا لبس فيها ولا غموض ، ولا شبهة فيها ولا ارتياب ، دلائل يجدونها بينة فى صدروهم ، تطمئن إليها قلوبهم ، فلا تطلب عليها دليلا وهى الدليل ، والعلم الذى يستحق هذا الاسم ، هو الذى تجده الصدور فى قراراتها ، مستقرًا فيها ، منبعثا ، يكشف لها الطريق ، ويصلها بالخيط الواصل إلى هناك ، وما ينكر آيات الله إلا الظالمون الذين لا يعدلون فى تقدير الحقائق وتقويم الأمور ، والذين يتجاوزون الحق والصراط المستقيم والإيمان بالله كسب ، كسب فى ذاته ، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله .

إن الحق أبلج ظاهر ، وإن الباطل مظلم زاهق ، ولا يحتاج إلى آيات ظاهرة ، ولا يطلب خوارق ومعجزات ليؤمن إلا من سدت مسامعه بل وجوارحه عن الحق ، وإن معجزة واحدة كالقرآن تكفى للإذعان للحق ، وتزيل كل شبهة .

وتنبه الآيات الدعاة بنسبة الأمر كله لله بأن الآيات والمعجزات من الله ، فالرسول ينذر ويحذر ، ويؤدى ما كلف به وفى ذلك يقول صاحب الظلال :

« إنه تجريد العقيدة من كل وهم وكل شبهة ، وإيضاح حدود الرسول وهو بشر مختار ، فلا تتلبس بصفات الله الواحد القهار ، ولا تغيم حولها الشبهات التى غامت على الرسالات حين برزت فيها الخوارق المادية ، حتى اختلطت فى حس الناس ، والتبست الأوهام بالخرافات ، ونشأت عنها الانحرافات » .

وهؤلاء الذين يطلبون الخوارق يغفلون عن تقدير فضل الله عليهم بتنزيل هذا القرآن ، أو لم يكفهم أن يعيشوا مع السماء بهذا القرآن ؟ وهو يتنزل عليهم ، يحدثهم بما فى نفوسهم ، ويكشف لهم عما حولهم ، والله بعد ذلك يكرمهم حتى لينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ، ثم هم لا يكتفون ، والذين آمنوا هم الذين يجدون مس هذه الرحمة فى نفوسهم ، وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلى الكبير .

وأما الذين لا يشعرون بهذا كله ، فيطلبون آية يصدقون بها هذا القرآن ، وهؤلاء لا جدوى من المحاولة معهم ، وليترك أم الفصل بينه وبينهم إلى الله ، وشهادة من يعلم ما فى السموات والأرض أعظم شهادة ، وهو الذى يعلم أنهم على الباطل الخاسرون على الإطلاق ، الخاسرون لكل شىء ، الخاسرون للدنيا والآخرة ، الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الرفق فى الدعوة ولين الجانب مع المدعوين .

٢ ـ الحذر من شبهات الأعداء ، وردها بما يدمغها .

٣ ـ أخذ العبرة والعظة من القرآن ، ومدارسة آياته ، وتدبره .

٤ ـ الثقة فى وعد الله عز وجل بالنصر للمؤمنين .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٤٠٣

معانى الكلمات :

أجل مسمى : وقت محدد . **بغتة** : فجأة .

لنبوئنهم : لنسكننَّهم دائماً . **غرفاً** : منازل عالية . **كأين** : كثير . **لا تحمل رزقها**:لا تقدر على كسب رزقها . **يبسط** : يوسع .

يقدر : يضيق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن برحمة الله للناس فى تقسيم الأرزاق بينهم .

٢ ـ أن يعلم المسلم الحكمة من بسط الرزق لمن يشاء من عباده وقدره على آخرين .

٣ ـ أن يسعى المسلم فى دعوته واثقًا من معين الله له .

المحتوى التربوى :

تظهر الآيات حكمة تأجيل العذاب ويقول **صاحب الظلال** : « كثيرًا ما يكون إمهال الله استدراجًا للظالمين ليزدادوا عتوًا وفسادًا ، أو امتحانا للمؤمنين ليزدادوا إيمانًا وثباتًا ، وليتخلف عن صفوفهم من لا يطيق الصبر والثبات أو استبقاء لمن يعلم سبحانه أن فيهم خيرًا أولئك المنحرفين ؛ حتى يتبين لهم الرشد من الغيّ فيثوبوا إلى الهدى ، أو استخراجًا لذرية صالحة من ظهورهم تعبد الله ، وتنحاز إلى حزبه ولو كان آباؤهم من الضالين ، أو لغير هذا وذاك من تدبير الله المستور» .

ثم يأتى خطاب تعليم وإرشاد لرسم منهج التمكين للدعوة وهو الخروج من أرض الضيق ودفع خطرين يعترضان طريق الهجرة وهما :

ـ خاطر الأسى لمفارقة الوطن بكون الأرض كلها ملكا لله ، وأرض الله واسعة ، فأحب بقعة منها إذن هى التى يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه .

ـ والخاطر الثانى هو الخوف من خطر الهجرة ، خطر الموت الكامن فى محاولة الخروج فيأتى الإقناع الربانى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ . فالموت حتم فى كل مكان .

وتأتى الآيات بما يطمئن المؤمنين ويثبتهم من الخوف من خطر الرزق بعد مغادرة الوطن والمال ومجال العمل ، والنشاط المألوف ، وأسباب الرزق المعلومة ، وتدعو للتأمل فى رحمة الله بأن الدابة التى لا تستطيع اكتساب رزقها الله يرزقها ولا يدعها تموت جوعًا، فهذه هى الدواب ، وكذلك يرزق الله من الناس المؤمن والكافر ، والبر والفاجر؛ لذا فليعلم المؤمنون أن رحمة الله تحوطهم ، وأن الضيق لرفع منزلتهم والسمو بمكانتهم .

ويمضى السياق القرآنى ليظهر اعتراف الكافرين بالله عز وجل ، وأن الله خالق السموات والأرض ، ومسخر الشمس والقمر ، ومنزل السماء ومحيى الأرض بعد موتها ، وهذا الاعتراف يفضى إلى الاعتراف بأن الرزق بيد الله ، وقد أبان ذلك صاحب الظلال بقوله : « والرزق ظاهر الارتباط بدورة الأفلاك ، وعلاقتها بالحياة والماء والزرع والإنبات ، وبسط الرزق وتضييقه بيد الله ، وفق الأوضاع والظواهر العامة ، فموارد الرزق من ماء ينزل ، وأنهار تجرى وزروع تنبت ، وحيوان يتكاثر ، ومن معادن فى جوف الأرض ، كلها تتبع نواميس الكون ، ولو تغيرت تلك النواميس عما هى عليه أدنى تغيير لظهر أثر هذا فى الحياة كلها على سطح الأرض ، وفى المخبوء فيها من الثروات الطبيعية الأخرى سواء بسواء ، فحتى هذا المخبوء فى جوف الأرض ، إنما يتم تكوينه وتخزينه واختلافه من مكان إلى مكان وفق أسباب طبيعة الأرض وتأثراتها بالشمس والقمر .

إن الكون بحال النظر والتدبر للحق الذى جاء به ، ويقف القلب أمام هذا الكون وقفة المتفكر المتدبر اليقظ لعجائبه ، الشاعر بيد الصانع وقدرته ، المدرك لنواميسه الهائلة ، بلفتة هادئة يسيرة ، لا تحتاج إلى علم شاق عسير ، إنما نحتاج إلى حس يقظ وقلب بصير ، وكلما جلا آية من آيات الله فى الكون وقف أمامها يسبح بحمد الله ويربط القلوب بالله .

قال صاحب الأساس : « بمناسبة قوله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ قال ابن كثير : هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذى لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحّدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ روى الإمام أحمد .. عن أبى يحيى مولى الزبير ابن العوام قال : قال رسول الله ﷺ : « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيرًا فاقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ؛ ليأمنوا على دينهم هناك ، فوجدوا خير المنزلين هناك أصحمة النجاشى ملك الحبشة رحمه الله تعالى ، فآواهم وأيدهم بنصره ، وجعلهم سيومًا ببلاده ، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة » .

ويشير صاحب الظلال إلى أن السياق القرآنى يمضى : « فى معالجة النفوس البشرية ، التى تواجه مشاق الهجرة ومتاعبها ومخاوفها ، وتشفق من التعرض لها ، وقد عالجها فى الآيات

السابقة بذلك المشهد المثير للاشمئزاز والخوف معًا ، فهو يعالجها بعد ذلك ببث عوامل الطمأنينة ـ سواء وصل المهاجر إلى وجهته أو مات فى طريقه ـ فى حالة الهجرة فى سبيل الله ؛ وبضمان الله للمهاجر منذ أن يخرج من بيته مهاجرًا فى سبيله ووعده بالسعة والمتنفس فى الأرض والمنطلق ، فلا تضيق به الشعاب والفجاج :

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء) .

إن المنهج الربانى القرآنى يعالج فى هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة ؛ وهى تواجه مخاطر الهجرة ؛ فى مثل تلك الظروف التى كانت قائمة ؛ والتى قد تتكرر بذاتها أو بما يشابهها من المخاوف فى كل حين .

وهو يعالج هذه النفس فى وضوح وفصاحة ، فلا يكتم عنها شيئًا من المخاوف ، ولا يدارى عنها شيئًا من الأخطار ـ بما فى ذلك خطر الموت ـ ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانة الله سبحانه وتعالى .

فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .. وهذه هى الهجرة المعتبرة فى الإسلام ، فليست هجرة للثراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب ، أو هجرة للذائذ والشهوات ، أو هجرة لأى عرض من أعراض الحياة ، ومن يهاجر هذه الهجرة ـ فى سبيل الله ـ يجد فى الأرض فسحة ومنطلقًا فلا تضيق به الأرض ، ولا يعدم الحيلة والوسيلة ، للنجاة وللرزق والحياة :

﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (النساء: ١٠٠) :

وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها ، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق ، مرهونة بأرض ومقيدة بظروف ، ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً .

وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة ؛ هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضيم ، وتسكت على الفتنة فى الدين ؛ ثم تتعرض لذلك المصير البائس ، مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر فى سبيل الله ، إنه سيجد فى أرض الله منطلقًا وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله فى كل مكان يذهب إليه ، يحييه ويرزقه وينجيه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الثقة بأن عقاب الله واقع بالكافرين ، وأن تأخيره لاستدراج الكافرين ورفع شأن المؤمنين .

٢ ـ أن يسلك المؤمن كل الطرق ؛ ليستمر فى طريق الدعوة لله حتى لو ترك وطنه .

٣ ـ ألا يشغل المؤمن قلبه بالرزق ؛ لأنه مقدر من الله .

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ
لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى
ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ
ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ ٱلرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٤٠٤

معانى الكلمات :

لهو ولعب : لذائذ وعبث باطل .

الفلك : السفن .

حرماً آمنا: المراد مكة .

مثوى : مكان يقيمون فيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يشعر المؤمن بعظم رابطة الإيمان ، وأنها تعلو ما سواها .

٢ ـ أن يعرف المؤمن مواقف تزيد من إيمانه بربه .

٣ ـ أن يمضى المؤمن فى دعوته واثقًا من نصر الله للمؤمنين .

المحتوى التربوى :

تقرر الآيات أن الحياة الدنيا لعب ولهو حين لا ينظر فيها إلى الآخرة ، ويصحح صاحب الظلال خطأ قد يفهم من الآية بقوله : « والقرآن لا يعنى بهذا أن يحض على الزهد فى متاع الحياة الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيدًا ، إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه ، بل المقصود هو استعلاء النفس ، وسموها حتى لا تصبح أسيرة هذا المتاع » .

ثم يعرض النص القرآنى بما يبكت الكافرين بإظهار تناقضهم واضطرابهم بأنهم إذا ركبوا فى الفلك ، وتعرضت سفينتهم للغرق لم يلجؤوا إلى الله ، لينجدهم وينجيهم ، وهذا نداء الفطرة التى تنادى بأن القوة هى قوة الله .